

في التوضيع والصحافة وعلم المعاني

د. عززي عبد الرحمن

أستاذ محاضر

معهد علوم الإعلام والاتصال - جامعة الجزائر

يعتبر علم المعاني (semantics) أحد التوجهات الفكرية التي تختص بدراسة دلالات اللغة ومعانيها (ما ظهر منها وما بطن) . وقد بدأت بعض ركائز هذا التوجه تتجلى في ميدان دراسة محتويات وسائل الاتصال الجماهيرية خاصة ما يرتبط بمجال النص المكتوب . وتتناول هذه الدراسة ما يفترضه هذا النوع من المعرفة في شأن الخصائص الموروثة في اللغة والتي تعوق عملية الاتصال ، الحالات التي يساء فيها استخدام اللغة من طرف المرسل (بكسر السين) ، الوضعيات اللغوية التي تعكس حالات لاشعورية ثم تجسيدات هذه الافتراضات في المادة الاعلامية استنادا الى ظواهر تقرر بالاعلام العربي عامة . يرمز التوضيع (encoding) الى سيورة تخص «ترجمة مجموعة من الأهداف والمقاصد والمعاني التي تكن في خلجات النفس» الى رموز أو وضع⁽¹⁾ ويدخل التوضيع هذا ضمن معادلة ثلوثية يتأسس عليها الاتصال والتواصل في المجتمع : التوضيع (encoding) الوضع ، (code) وعملية فك الرموز (decoding) . فالقائم بعملية الاتصال يقوم بتحويل الشحنات والطاقت والأحاسيس والمشاعر الكامنة في النفس الى كلمات (أي اللغة) أو رموز أخرى كالصورة أو الكاريكاتور أو الأنغام الموسيقية ، الخ .. وتصاغ هذه الرموز عادة في سياق اجتماعي تاريخي حضاري يسمى بالوضع ، أي مجموعة من القيم والمفاهيم والدلالات والمعاني التي تشكل قاموس المجتمع . ويقوم المستقبل من جهته بفك هذه الرموز بناء والى حد كبير على الوضع القائم .

ان اكتمال هذه الحلقة (التوضيع والوضع المشترك وعملية الفك) قد لا يضمن «الفهم» في عملية

الاتصال ذلك أن في اللغة خصائص تجعل من الصعوبة بمكان تحقيق الاتصال والتواصل (في الاتجاهين) في المجتمع : وتتضمن هذه الخصائص⁽²⁾ .

(أ) ان اللغة مؤسسة قارة أما الحقيقة فهي سيرورة ديناميكية : فالواقع يتغير «بسرعة» أما اللغة فتتغير بوتيرة أقل بالمقارنة وهي لا تتجاوب اذا مع ما يحدث في الواقع الا بعد حين . وينطبق ذلك على كل من مستوى الفرد والمجتمع فالفرد لا يقدر أثناء الكتابة على تسجيل كل ما يجول في خاطره ، من آراء وأفكار وخواطر وأوهام ذلك أن هذه الأخيرة تتدفق بسرعة وغزارة أكثر من قدرة هذا الفرد على تدوينها⁽³⁾ .

وترى الفرد ينتقي ويختار ويعمل جاهدا على إيقاف هذا الاندفاع الذي يشبه ما وصفه الشاعر العربي بقوله «كجلود صخر حطه السيل من عل» فالأفكار تفيض على الحبر . والمكتوب لا يوفر الا الجزء الضئيل من الجمهور⁽⁴⁾ وفي سياق مرجعي أوسع ، نلاحظ أن تطور اليوم زمانيا يحدث أوضاعا مختلفة ألوانها لكن القاموس اللغوي لا يملك متسعا الا أن يختزل ذلك في لفظ النهار أو لفظ الليل وقد يمتد القاموس قليلا ويقدم ألفاظا أخرى عن تطور هذا اليوم كمثل الفلق والغاسق⁽⁵⁾ ولكن هذه لا تستنفذ جل ما يحتويه يوم مقداره زمن معين مما نعدّ بقدر ما تستدعي الانسان الى التأمل في وأثناء هذا الزمن المستقطع أو الذي نحاول إيقافه .

ان كون اللغة لا تتغير الا بوتيرة أقل وببطء قد يحجب علينا حقيقة أن الواقع قد تغير بالفعل ، ويندرج الخطاب الصحفي عندنا في هذا القالب اذ أن رموز لغوية معينة في شكل شعارات بقيت متداولة رغم أن الواقع الذي نمت فيها مثل هذه الشعارات قد تغير أو في طريق التغير . ويبدو واضحاً أيضاً أن هناك محاولات تسعى الى تجاوز هذا المأزق لغويا فتتحدث عن شعار المرحلة أي ربط الشعار بعامل الزمن من جهة والتنويه بأن شعارات أخرى تعود الى مرحلة غابرة من جهة أخرى . وأديبا ، فان عدد من الأدبيات تسعى الى خلخلة البنيات اللغوية أملا في تغيير الواقع من خلال مغايرته⁽⁶⁾ .

(ب) أن اللغة محدودة (في امكانياتها التعبيرية عن الواقع) . أما الحقيقة فهي غير محدودة : فاللغة كثيرا ما تكون عاجزة بحكم محدودياتها عن التعبير عن الواقع . وفي كل لغة قديمة أو حديثة ، حية أو تحاول أن تحي ، فان عدد الألفاظ محدود ومحصور في قواميس يعاد اليها كلما اقتضت الحاجة الى ذلك . ويتراوح عدد الألفاظ في اللغة الإنجليزية مثلا ما بين 500 و 600 ألف كلمة . وهذا الخزون اللغوي لا يستغل (بضم الياء) الا في ما تسير منه ذلك أن الأفراد لا يستخدمون في مسار المحادثة اليومية الا حوالي 5000 كلمة . وتحتوي القصة أو الرواية ما يقارب 10.000 كلمة⁽⁷⁾ .

ويمكن القول هكذا أن الفرد لا يستطيع أن يعبر عن الواقع خارج اللغة المحدودة (أي الكلمات المحدودة) . فالفرد يوجد ويفكر ويبدع في اطار اللغة ، أي في الاطار الذي تسمح به اللغة وهو اطار محدود بالمقارنة مع الواقع .

وبنيويا ، فان محدودية اللغة ينبغي أن تحلل في سياق خاص وحقا ، فان أي نص سواء أكان صحفيا أو أدبيا أو فلسفيا لا يتعدى أن يكون اجراء يعيد ترتيب الكلمات الموجودة في القاموس اللغوي فالقصة أو الدراسة الأكاديمية أو التحقيق الصحفي أو الخطاب السياسي الخ .. يمكن أن يعتبر كعملية تحريك الكلمات اللغوية بكيفية لم يسبق لها مثيل فتحدث بذلك أثرا من نوع خاص ، لكن تغيير موقع الكلمات بصيغ مختلفة يمكن أن يحدث عددا لا متناهيها من الوضعيات اللغوية ويمكن أن نلاحظ هنا كيف أن مؤسسة الهاتف استطاعت أن تحدث عددا لا متناهيها من الأرقام الهاتفية المتنوعة باعادة ترتيب موقع عدد محدود من الأرقام تمتد من صفر (0) الى رقم (9) أن هذه العملية تضيي منافذ عدة على قدرة اللغة في التعبير عن الواقع المتغير المتغاير رغم حدودياتها من الجانب الآخر . وقد اقترح منظرو علم المعاني اضافة تعبير «الى آخره عند نهاية النص اللغوي تنويعا بعدم قدرة اللغة على الامام بكل شيء ولا غرابة ان اتخذت جماعة من منظري علم المعاني تعبير «الى آخره» عنوانا لمجلتهم .

(ج) ان اللغة تجريدية : ويقصد بالتجريد سيرورة انتقاء بعض التفاصيل دون الأخرى ، وهذه العملية تجعلنا نفكر من حيث بعض الفئات أو التصنيفات وتسمح لنا بالتعميم ، وكلما كانت الكلمة مجردة أكثر كلما ابتعدت بصفة مباشرة عن الواقع فكلمة «النقل» أكثر تجريدا من «النقل البري» وهي أكثر تجريدا من «الشاحنة» وهي أكثر تجريدا من «الشاحنة من نوع كذا» فالتجريد يبعدنا عن الواقع ولكنه يسمح بالفرز والتعميم في غرة التفاصيل التي لا نهاية لها . فالمرسل (بكسر السين) اما أن مجرد فيكون أقل وضوحا وأكثر ابتعادا عن ما حدث في الواقع أولا مجرد فيكون أقل قدرة على التنظير والتعميم وتلك هي معضلة موروثية في اللغة . ان هذه الخصائص المتمثلة في كون اللغة تارة محدودة ، وتجريدية خصائص موروثية لا ينبغي استبعاد استحالة تجاوزها بقدر ما يتعين التكيف مع هذه الخاصيات في عملية الاتصال . وتتواجد الى جانب ذلك وضعيات أخرى تتدخل في اعاقه سيرورة الاتصال وتعود هذه أساسا الى الانسان الفاعل الذي يمكن أن يسوء استخدام وسيلة اللغة . وقد حدد منظرو علم المعاني أربع حالات يساء فيها استخدام الرموز اللغوية⁽⁸⁾ .

(أ) التجريد ذو المستوى الميت (dead-level abstracting) ويحدث ذلك عندما يصبح المرسل سجين المستوى الأعلى من التجريد . وتمثل بعض كلمات المستوى الأعلى من التجريد في «الحرية» «الانسانية» «الديمقراطية» «الصالح العام» «السلم» «الأمن» الخ .. ان هذه الكلمات عندما تتواجد في سياق لا يتضمن كلمات أخرى في المستوى الأسفل من التجريد فانها لا تحمل دلالات محددة وتظل الصعوبة قائمة في ادراك ما ترمز اليه في حقيقة الواقع . وتترك هذه الكلمات المعلقة في دلالاتها المجال مفتوحا أمام أي تأويلات محتملة وفق سياق الفرد الذي يتلقاها (المستقبل) ونجد أن الخطاب السياسي والخطاب الصحفي في وسائل الإعلام عادة ما يظل

حبس التجريد ذو المستوى الميت بحيث لا ندري ما تعنيه هذه الكلمات في حقيقة الواقع وكل فرد ليميل الى نسج هذه الكلمات في خطوطه الاجتماعية والثقافية الخاصة . ان هذا التوجه في الخطاب الصحفي عندنا وفي المجتمع العربي عامة يمنع الملتقى (أو الجمهور) من النقد (لأنه لا يمكن نقد خطاب يصعب فك رموزه) ومن ثم المشاركة في إنتاجه أو صناعته ويحدث السلبية لدى هذا الجمهور من جانب آخر . وقد أشار محمد حسنين هيكل الى مثل هذا المعنى عندما ذكر بأن الكلمة الانشائية تزول وتبقى الكلمة التي تعكس واقع هو جزء من تصور الناس⁽⁹⁾ .

ويمكن أن تنغمس الكلمات في المستوى الأسفل فتتكب على التفاصيل دون إيجاد ذلك الربط أو الرباط القائم بينها . وفي هذه الحالة ، فانها تشبه دليل المشتريات الذي توفره المؤسسات الصناعية التجارية لزبائنها . ويرى منظرو علم المعاني أن تجاوز التجريد على المستوى الأعلى والمستوى الأسفل يتطلب الكر والفر من المستوى الأعلى الى الأسفل ومن الأسفل الى الأعلى في علاقة جدلية مستمرة بحيث يكون هنا تأثير متبادلا بين المستويين وهو ما يقلل من صعوبة الاتصال علما بأن ذلك ليس بالتوجه المهيمن في الكتابة صحفية أو أخرى .

(ب) التجديد التعريفي المفرط (undue identification) ويسمى هذا النمط «بالتفكير التصنيفي» أيضا . ويرمز هذا التحديد الى الفشل في عدم رؤية الفروق الموجودة ضمن الفئة الواحدة وذلك مثل القول «بأنك لا تصدق أي شيء تقرأه في الصحيفة» أو «أن الاحصائيات لا تثبت أي شيء» الخ .. ويدخل ضمن هذا التحديد التفكير المسبق الذي نحمله على بعض الجماعات أو الفئات مهنية ، ثقافية ، عرقية الخ .. فيقال ان سكان الريف يتصفون بهذه الصفة وسكان المدن بتلك أو أن السكان الأفارقة يتصفون بكذا والصينيون بكذا . وهذه تدخل في اطار التحديد اللغوي الذي لا يعكس الواقع بقدر ما يبسطه ويشوهه . ولاشك في أن استعمال لفظ بعض يقلل من مثل هذا التحيز اللغوي كالقول بأن البعض من هذه الفئة يتميز بكذا .

(ج) التقييم الثنائي التقييم (two-valued evaluation) ويتضمن ذلك التفكير الذي يقوم على مبدأ «إما وإما» ولا يترك هذا النمط أي مجال لأية احتمالات أخرى . ويتجلى مثل هذا الأسلوب في الخطاب السياسي ، فقد جاء في لتصريح شخصية سياسية أمريكية ما يلي : «هل اننا سنعتزف بمكانتنا في العالم أو أننا نتدحرج الى حافة الهامشية كما فعلنا في العشرينيات ؟» وفي هذه الحالة فان الملتقى لا يجد نفسه فقط أمام اختيارين (التقييم الثنائي التقييم) ولكنه يلاحظ أن أحد الاختيارين قد طرح بصفة سلبية (التدحرج الى الهامشية) الشيء الذي لا يترك المجال لأي اختيار ما عدا الذي يختاره المرسل (أو رجل السياسة في هذه الحالة) . وتلك هي إحدى الأدوات الدعائية المشاعة .

ويدخل في هذا السياق ما يقال عن أن هذا وذاك يجب أن يكون مع هذه القضية أو ضدها وقد قيل في شأن الصحفي الجزائري في السبعينيات من أن هذا الصحفي يجب أن يكون مع الثورة أو ضدها ولا يمكن له الا أن يكون صحفيا ملتزما بالثورة⁽¹⁰⁾ وتصب بعض الشعارات المتداولة في الغرب في هذا التوجه فيقال مثلا «أنت جزء من المشكلة أو جزء من الحل» و«أمريكا : أحبها أو أتركها»⁽¹¹⁾ .

وقد ساهمت اللغة في احداث هذا التوجه بفعل التضاد الثنائي الذي يكتنف بعض الألفاظ مثل الليل والنهار ، والأرض والسماء ، والأبيض والأسود الخ .. أو الصراع الجدلي الذي تتصف به بعض الوضعيات مثل الخير وتقيضه (أي الشر) والفقرة وضده (أي الغنى) والنجاح وما يقابله (أي الفشل) الخ ..

ويتواجد هذا التوجه في الخطاب الأكاديمي (أو في بعضه) أيضا ويقال في العديد من فروع المعرفة أن هناك نظريتان لا أكثر بيضاء وسوداء . ويمكن أن يحمل هذا التوجه تضمينات لا ترتبط بالواقع (خاصة عندنا) كالقول بأنه لا يمكن لنا الا أن نكون أو ننتمي الى النظرية البيضاء وتلك هي المغالطة اذ أن ذلك لا يفسح المجال لأية نظرية محتملة أخرى مستمدة من واقع غير الواقع الذي نمت فيه النظريات الأخرى . ويدخل في هذا المضمار ما يقال من أن النظام الاعلامي العربي عامة لا يمثل لمقاييس النظرية الاشتراكية ولا يستوفي شروط النظرية الرأسمالية ، ومن ثم فهو لا يقوم على أية نظرية . وهذا التوجه اذا يستثنى امكانية تواجد نظرية مغايرة أو متميزة في الزمان والمكان . ويتضح أيضا أن التفكير الثنائي التقييم قد يحدث أثره (سالبا) من الناحية النفسية على مستوى الفرد . ويرى ذلك عندما يبدأ الفرد في التفكير من حيث «اما أنني ناجح أو فاشل» ويمكن فقط تصور حالة الفرد الذي يحكم على النفس بالفشل . وقد أوردت صحيفة «فاميلي وكلي» قصة هذه الفتاة التي كانت تتحصل على أعلى الدرجات في دراستها ثم انتحرت عندما تحصلت على أول علامة تقل عن سابقاتها . وقد تركت الفتاة مذكرة تقول فيها : «اذا فشلت فيما أقوم به ، فقد فشلت فيما أكون»⁽¹²⁾ ، وفي الواقع ، فإن الفرد عادة ما يحقق بعض النجاح ويصاب ببعض الفشل . ويقترح منظرو علم المعاني هنا التحول من التقييم الثنائي التقييم الى التقييم المتعدد الأبعاد في التقييم .

(د) الاسقاط اللاشعوري : ويرمز ذلك الى انعدام الادراك بأن مايقوله الفرد هو في الواقع حديث عن النفس ويرى « وندال جونسون» بأننا دائما نتحدث عن أنفسنا ، ان القول بأن الجو حار هو تعبير عن حالة الفرد الذي يدلي بهذا التصريح أكثر منه تعبير عن حالة الجو ويظهر ذلك أيضا في المثال الذي يقول : «بأنه لا يوجد هناك من يهتم بذلك» . وفي هذه الحالة ، فإن الفرد يريد القول بأنه لا يهتم شخصا بذلك ولكنه أسقط ذلك لا شعوريا على الآخرين . وقد وقع رئيس أمريكي سابق في هذا المأزق عندما وصف الصحافة بأنها مشوهة (بكسر الواو) مأكرة وفظيعة وقد طلب (بضم الطاء) من هذا الرئيس تقديم أدلة عن ذلك فلم يستطع . وتذكر الأدبيات النفسية عدة حالات يتم فيها التعبير عن مكنونات لا شعورية بواسطة رموز لغوية ، وتتضمن هذه الوضعيات التي تدرج ضمن دفاعات الأنا ميليلي⁽¹³⁾ .

أ - التعويض : ويظهر أن الطبع الانساني يميل الى التعويض عن العجز أو النقص الذي قد يتصف به الكائن البشري . ويحدث ذلك في الحياة العضوية أيضا عندما تقوم اليد الواحدة بأداء

وظيفة اليمين عندما تعجز أو تنعدم احدهما ، ويقول «ون باول» في هذا الشأن «أنه كلما يكون سلوك الفرد مبالغاً فيه كلما يعني ذلك عكس ما يتضمنه السلوك⁽¹⁴⁾ وتكون النتيجة مماثلة عندما يترجم السلوك الى لغة ، أي كلما بالغ الفرد في ما يتفوه به كلما كان المقصود عكس ما يريد ايصاله .

(ب) - التحويل : ويحدث ذلك عندما لا يستطيع الفرد التعبير مباشرة عن دافع ما بفعل الوعي المراقب (بكسر الكاف) «النفس المطمئنة» أو الأنا العلوي «النفس اللوامة» فالفرد يمكن أن يخترن ضغينة أو عداوة مرتبطة بكان عمله ولكنه لا يستطيع التعبير عنها لسبب أو آخر فتعكس بعد ذلك في تصرفاته مع أفراد أسرته مثلاً (أي التحويل) ويحمل الكلام الشعبي عندنا هذه الفكرة عندما نسمع «راه أفرغ الزعاف علي» وقد يلجأ الطفل الى التزيق أو التكسير تعبيراً عن شحنة عدائية يكنها في النفس تجاه الأب ولكنه لا يقدر على التعبير عنها مباشرة بحكم القيم الاجتماعية التي تحكم العلاقة بين الأب والابن . وقد يكون التحويل جماعياً عندما تحتزن جماعات معينة أحقاداً متراكمة بفعل الحرمان مثلاً ولكنها لا تجد قنوات تعبر بها عن ذلك في شكل غليان وثوران .

(ج) الاسقاط : ويعني ذلك نسب ما لا نريده في أنفسنا للآخرين ، وقد جاء في سورة يوسف ان المرأة أدعت بأن يوسف راودها بينما كانت هي الراودة وراودته التي هو في بيتها» ويميل الطبع الانساني الى نبذ (في الآخرين) ما لا نرضاه لأنفسنا ويقول (جون باول) في هذا الشأن «اننا نستطيع أن ننسب للآخرين ما لا نقدر على الاعتراف به في أنفسنا⁽¹⁵⁾ ان الفرد الطموح الذي لا يقر ولا يريد أن يقر برغباته وأطماعه يسقط ذلك على الآخرين فيعتبر (ويصرح بذلك) أن كل ما يريده هؤلاء الآخرون هو الشهرة والمال ، وقس على ذلك ما شابه من الأمثلة .

(د) التقليد الاندماجي (introjection) ويقصد بذلك عملية نسب خصائص الآخرين الايجابية لأنفسنا . ويدخل في هذا الاطار عملية تقمص شخصية الأبطال الذين تقدرهم بفعل بعض الخصائل التي يتميزون بها . وقد ذكر «جون باول» أن العديد من النساء يرتبطن بشخصيات الأبطال التي تتضمنها المسلسلات الدرامية التلفزيونية . وقد يمكن التقليد الاندماجي من الدخول في عالم الوهم والاستهواء ولكنه يحجز الفرد في قفص الادمان .

(هـ) التعليل المنطقي : ويظهر أن الفرد عادة ما يجد أو يختلق أسباب يراها موضوعية عن أفعاله مهما كانت طبيعة هذه الأخيرة . وفي الواقع ، فان الفرد قد يؤسس تعليلات تبدو منطقية عن تصرفات وسلوكات غير مقبولة ثقافياً واجتماعياً . وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً﴾⁽¹⁶⁾ وقد اعتبر «جون باول» أن التعليل المنطقي يعني استعمال الذكاء لانكار الحقيقة . فالفرد ، عندما لا يقدر على التوفيق بين ما يقوم

به وما يؤمن به ، قد يلجأ الى تبرير مايعمله (منطقيا) حتى وان كان ذلك لا يتلاءم أو يتناقض مع ما يحمله من قناعات . ان الفرد يميل الى جعل ميوله العاطفية نتائج المنطقية . ويستطيع الفرد في مستوى آخر تعليل الفشل الذي يصاب به بصياغة تعليلات تبدو منطقية ومقنعة على الأقل ذاتيا .

وقد وردت بعض المحاولات الخاصة بتوظيف بعض أدوات علم المعاني في معالجة النصوص التي تنقلها وسائل الاتصال الجماهيرية . وتثير هذه المعالجة مراجعة بعض المفاهيم السائدة في هذا الحقل والمرتبطة بظاهرة النص الاعلامي . ويمكن أن يرتبط علم المعاني بعدد من الفروع المعرفية الأخرى التي تشكل سندا يضع افتراضات هذا العلم في سياق اجتماعي وتاريخي أوسع . ونذكر في هذا المضمار ما أتت به المدرسة النقدية (critical school) اذ يرى هابرماس أن وسائل الاتصال الجماهيرية ساهمت بفعل اقترانها بعامل السلطة في تشويه عملية الاتصال في المجتمع⁽¹⁷⁾ وتعتبر البنيوية (structuralism) بدورها أن ما يقال (أو ما يبت أو يذاع أن ينشر في هذه الحالة) ما هو الا واجهة سطحية لما لا يقال وأن تحليل دلالة الرموز اللغوية وغير اللغوية يتطلب استخدام هذا الذي يقال كجسر في اتجاه استظهار البنيات اللاشعورية الكامنة في النص⁽¹⁸⁾ ويرى ستيقر الذي يعتمد على منهج الظاهرتية (phenomenology) أن وسائل الاتصال الجماهيرية وخاصة التلفزيون تنشئ محيطا من الأساطير والطقوس التي تبقى بعيدة عن وعي الجمهور أو ادراكه وتترك هذا الجمهور في حالة من اللاشعور الجمعي (collective unconscious) كما أن هذه الوسائل تعيد المجتمع الى مرحلة الاتصال الشفوي حيث ينعدم عنصر التأمل في العلاقة بين الفاعل والموضوع⁽¹⁹⁾ .

ويدخل في سياق هذا علم المعاني الجدل الذي خص الصحافة حول مسألة الموضوعية ، ما اذا كانت ممكنة . ويصف بعض الصحفيين الممارسين في أمريكا أمثال هانتر تومس وبيل موبرز ودافيد برنكلي الموضوعية بأنها أسطورة ويعتبرها آخرون أمثال كليفتون دانيال وهيربرت بروكر بأنها أساسية في العملية التحريرية الصحفية . ويذكر هيكوا ثلاث تصنيفات تجسد نوعية المادة الصحفية :

أ - التقرير التحقيقي : ويتضمن ذلك المادة الاعلامية التي تقول لصاحبه ما جرى دون تحيز أو اتجاه من أي نوع وتكون هذه المادة قابلة للاثبات ويدخل في هذا القالب قولنا أن درجة الحرارة كانت أمس 41 درجة أو أن المجلس الفلاني صادق على ميزانية قدرها 240 مليار كذا الخ .. ويعتبر هذا النوع الصحفي النط الذي يميز الصحافة الأمريكية أي التعامل مع الوقائع كوقائع دون اضافة تأويل في أي اتجاه بارز . ويرى هيكل في هذا الشأن أن صحافة المعلومات (تقديم المعلومات دون الرأي) هي التي ينبغي أن تسود الصحافة العربية في هذه المرحلة من التطور وتميل الصحافة الأوروبية بالمقابل الى ربط الوقائع بالوضع الاجتماعي والاقتصادي

والثقافي ، أي ربط هذا التقرير بسياقه . ويبدو أن الصحافة عندنا والصحافة العربية لا تحمل خصائص النمط الأول (أي صحافة الواقع) ولا تتضمن النمط الآخر (أي سرد الواقع في إطارها اجتماعيا اقتصاديا وثقافيا) ، وإنما هي صحافة تتحدث إلى حد كبير حول الواقع وليس عن الواقع وذلك بتغطية العجز عن الحديث «عن» الواقع بالحديث «حول» الواقع .

ب - التقرير الاستنباطي : ويعني ذلك استظهار المجهول بناء على المعلوم وذلك كالقول «بأنه يبدو من خلال تدخلات الأعضاء فإن المجلس سيصادق على كذا» أو القول «بأنه يظهر من خلال تصريحات الرئيس الفلاني فإن الدولة كذا ستتخذ اجراءات ضد الدولة كذا» ويبرر هذا النوع حتى في بعض التعابير الصحفية فيقال «ستقوم شخصية فلانية بزيارة منطقة كذا» أو «سيعقد المجلس اجتماعا حول كذا» ويرى هيكوا أن الأصح صحفيا هو القول «بأن المصدر الفلاني يقول أن الشخصية ستقوم بزيارة أو أن المجلس يعقد اجتماعا» وفي العمل الصحفي ، فإن التقرير الاستنباطي ينبغي أن ينسب إلى مصادر معينة ولا يتعين أن يأتي على لسان الصحفي .

ج - التقرير الذي يتضمن الأحكام ويمثل هذا التقرير النوع الصحفي الذي يحمل شحنة ذاتية أو سياسية أو أيديولوجية ، وهذا النوع يمزج الخبر بالرأي أو الرأي بالخبر بحيث لا يمكن التمييز بين ما حدث وبين الحكم على ما حدث ويتضاءل هذا النوع الصحفي في الصحافة الغربية والأمريكية خاصة بفعل عدة عوامل منها هو أن دور الاعلام في هذه المجتمعات هو الاعلام أي تحقيق عملية تدفق المعلومات بين القطاعات المختلفة في المجتمع بتوظيف هذه القنوات الاعلامية .

وقد أوجدت الصحافة الغربية عدة قوالب صحفية تسمح بفصل الخبر عن الرأي منها ركن الرأي الذي يعبر عن الرأي الشخصي لصحفي ما والافتتاحية التي تعبر عن رأي الصحيفة ، وفي الواقع فإن الصحف اليومية الكبرى وكذا بعض المجلات تخصص أركانها خاصة تقدم فيها آراء الكتاب أو الشخصيات التي أشتهرت بنزعاتها الليبرالية أو المحافظة مثل جورج وال ووليم باكلي وغيرها في أمريكا ، ونجد أن العديد من الصحف المتوسطة والمحلية تعيد نشر هذه الآراء في صفحاتها الخاصة بالرأي . ويسود التقرير الذي يتضمن الأحكام في الصحافة العربية والنامية عامة وذلك كأسلوب يتم بواسطته تغطية العجز في تقديم المعلومات كما أشار إلى ذلك هيكل . ويتضمن هذا القالب الصحفي نوعا من الوصاية على الجمهور انطلاقا من الرؤية التي تقول بأن الجمهور لا يستطيع أن يحكم نفسه على ما يحدث ومن ثم يجب توجيه الخبر ، وقد بدأ يبرز في الصحافة العربية الإدراك بأن هذا الأسلوب أفقد الصحافة مصداقيتها من جهة وخلق السلبية لدى الجمهور من جهة أخرى . وما يعوق تطور صحافة المعلومات في المحيط العربي نقص هذه المعلومات وعدم النفوذ إلى مصادر الخبر ، بالإضافة إلى عوامل ثقافية سياسية وتكنولوجية أخرى . ونجد أن مصادر الخبر قد تقدم المعلومات بنبرة تتضمن أحكاما ، وهي الشيء الذي يستدعي التعامل بحذر مع هذه المادة ونسب الأحكام إلى صاحبها . وقد أظهرت دراسة «ليون مان» أن تقدير حجم

المتظاهرين تجاه قضية ما يتوقف على درجة حساسية الصحيفة المعنية تجاه القضية وقد وجد أن الصحافة المناصرة تميل الى تضخيم عدد الجمهور وتميل الصحف الأخرى الى تصغير حجم نفس الجمهور . وقد أوردت صحيفة وطنية عندنا أن عدد المشاركين في تجمع باب الزوار بعد أحداث 5 أكتوبر 88 كان حوالي 800 شخص بينما قدره أحد المشاركين بـ 6 آلاف وتستدعي مثل هذه الحالة اذا العودة الى فم البعير للاستماع الى تجمعه إن صح هذا التعبير . وقد استخدم جون ماريل المفاهيم التي يطرحها علم المعاني في دراسة الكيفية التي تعاملت بها مجلة التايم مع ثلاثة رؤساء بأمريكا ، وقد أظهرت الدراسة أن الصحيفة تضمنت ستة أنواع من التحيزات : التحيز الذي ينسب حالات انفعالية كالقول بأن الرئيس كان يتحدث بجدة . التحيز الذي يقدم النعوت كالقول بأن الرئيس كان يتحدث بصراحة ، التحيز الظرفي كالقول بأن الرئيس قال في سياق مبادرته كذا وكذا : التحيز الذي يصدر الأحكام وذلك يتأثر مع النوع الثاني من القوالب الصحفية المشار إليها : التحيز في السياق العام الذي وردت به القصة والذي يستنتج في إطار عدد من الجمل أو الفقرات كالقول بأن الرئيس اضطر أن يتخذ هذه الاجراءات ، الخ ، ، والتحيز بتوظيف الصور وذلك من خلال المضمون الذي توحى به الصورة من حيث ما اذا كان الرئيس يظهر قلقا أو مطمئنا . الخ .. ويظهر في سياق الحديث عن التحيز بتوظيف الصورة أن العديد من الصحف الغربية بما في ذلك صحيفة «التايم» هذه تحرص على اظهار صورة ياسر عرفات مثلا في شكل توحى بأنه غاضب مضطرب ينذر ويهدد ، ولا شك أن سيطرة المؤسسات الصهيونية على العديد من هذه الوسائل يتدخل في ذلك .

وقد بدأ علم المعاني يدخل في دراسة دلالات اللغة في الصحافة والوسائل الأخرى وذلك بصفة متزايدة، وجد أنه عندما تم اختطاف بتريسا هرست في أمريكا لجأت بعض وسائل الاعلام الى توظيف ما أوردته منظرو علم المعاني في دراسة نصوص المختطفين وقد استنتج هيكوا في دراسة نصوص المختطفين بأن هؤلاء مثلا «يظهرون درجة عالية من التزام الفكري بالأيديولوجية الثورية». واستخدمت هذه الطريقة في دراسة الرسائل التي كان يبعث بها الرهائن الأمريكيون بايران الى الجمهور الأمريكي سواء ما تعلق بالنصوص المكتوبة أو المنطوقة حيث تدرس النبرات الصوتية وسرعة وتيرة الكلام وحدتها وما اذا كان الفرد يتحدث تحت تأثير معين وما اذا كان صادقا فيما يقوله . ان الخصائص اللغوية والمفاهيم التي يطرحها علم المعاني تظهر أنه من الصعوبة بمكان طرح مفهوم الموضوعية في الصحافة ويعتبر «ميلز» أن الموضوعية قد تعني فقط أن الفرد وصف اجراءاته وطريقته في الكتابة بوضوح بحيث انه اذا استعمل الآخرون نفس الاجراءات والطريقة في معالجة نفس المسألة فسيتوصلون الى نفس النتيجة ويبدو أن الارتكان الى التقرير التحقيقي يقرب الصحفي الى الموضوعية ويعيد الاعتبار الى الجمهور المتلقى .

الهوامش

Severin, Werner J. and Tankard, James W., Communication Theories: Origins, Methods, Uses, Hastings House (1) Publishers, New-York, 1979, p.51.

Ibid, pp.53-57. (2)

(3) هذه السيرة قد تحجب الفاعل الانساني عن التدوين اذ يصعب تحديد أين وكيف يمكن الحد من التدفق وكذا السيرة عليه .

- (4) عبد العزيز شرف ، «اللغة في نظرية الاعلام» الدراسات الاعلامية العدد 53 ، أكتوبر ، ديسمبر 1988 ، ص . 48 . Severin, p.54 .
- (5) القرآن الكريم سورة الفلق .
- (6) يدخل في هذا السياق الانتاج الأدبي الذي يقوم على بعض الركائز البنيوية .
- (7) Severin, p.54 .
- (8) Ibid, pp.57-50 .
- (9) محمد حسنين هيكل في «وجها لوجه» العربي ، العدد 326 ، جانفي 1968
- (10) In Bissekri, Fayçal, “Interaction du développement économique et du développement des mass médias en (10) Algérie”, doctorat 3^e cycle, Université de Paris II, Institut de l’Information, Paris, France, 1966, p.8.
- (11) تتواجد هذه الشعارات في اللوحات الاشهارية على امتداد طرق سريعة بأمريكا
- (12) Severin, p.60 .
- (13) Powell, John, Why Am I Afraid to Tell Who I am, Argus Communications, Chicago, 1969, pp.103-116 .
- (14) Ibid, 107 .
- (15) Ibid, p.111 .
- (16) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 8 .
- (17) Habermas, Jurgen, Communication and Evolution of Society, Bacon Press, Boston, 1978 .
- (18) د . عززي عبد الرحمن ، «ما بعد البنيوية والمعالم الثقافية العربية المستقبل العربي العدد 118 ، 2 - 1988 ، 37 - 49
- (19) Stivers, Richard, Evil in Modern Myth and Ritual, The University of Georgia Press, Athens, Georgia, 1982 .